**رثاء المدن والمماليك :**

**من فنون الشعر التقليدية التي احتذى فيها الأندلسيون المشارقة " فن الرثاء " ولكن شعراء الأندلس لم يقفوا بهذا الفن عند حد رثاء موتاهم من الملوك والرؤساء والأقارب والأحباب , وإنما نراهم يتوسعون فيه , ويطورون مفهومه , وذلك برثاء مدنهم , تلك التي غلبهم عليها أعداؤهم النصارى , وأخرجوهم منها مشردين في أنحاء الأندلس .**

**اختلف الدارسون في مفهوم رثاء المدن والممالك ومنهم من فرق بين رثاء المدن فأطلق هذا النوع من الرثاء على المدن التي سقطت في يد الاسبان واستلبت من يد المسلمين فبكاها الشعراء.**

**وأطلق الثاني :- على دول ملوك الطوائف التي سقطت بدخول المرابطين الى الاندلس وما نظمه الشعراء من قصائد شعرية تأسى وتأسف على المجد الزائل والسيادة الآفلة لهؤلاء الملوك .**

**ويصح ان ينسحب هذا المفهوم على المدن التي سقطت وخزيت بفصل الفتن التي طرأت على الاندلس بسبب فساد الأحوال السياسية.**

**وقد أطلق الدارسون على هذا اللون من الشعر أسماء اخرى فسميّ بشعر النكبات والكوارث والشعر الحزين،وجاء في حديث (د. شوقي ضيف ) وقد سمّاه ( الرثاء ) أو ندب الدول والبلدان.**

**وقد نبغ شعراء الاندلس بهذا الموضوع الشعري حيث عرف القرن الخامس الهجري بالصراع الذي أدّى الى سقوط مدن الاندلس وقد طبع هذا اللون من الشعر بطابع سياسي.**

**وقد ظهرت فيه أيضا معالم لشخصيه الأندلس وتفوق على الرثاء بصورة عامة . وتميّز كذلك عن قصائد رثاء المدن والممالك في المشرق.**

**اتّجه الشاعر الاندلسي في هذا النوع من الرثاء إلى تسليم الامور الى الله تعالى والشكوى من سوء الحال والهرب من المدن الساقطة بعد البكاء والعويل وتارة يذهب الى استصراخ الملوك واستنهاض الهمم ويتجه كذلك الى ضمائر المسلمين .**

**وإذا كان الشعر الاندلسي قد أحرز هذه المرتبة من التفوق فليس معنى هذا ان المشرق لم يعرف هذا اللون فالباحث يجد قصائد متناثرة في مصادر الادب والتاريخ تحكي تلك النكبات وتصورها .** **وقد قال شعراء الأندلس وأكثروا القول في رثاء مدنهم ودولتهم , حتى صار " رثاء المدن والممالك " بسبب ذلك فنا شعريا قائما بذاته في أدبهم .**

**وقد وجد في أدب المشارقة شيئا من هذا القبيل , كقصيدة ابن الرومي التي رثى بها مدينة البصرة .. وغيرها , لكن المشارقة لم يتوسعوا في رثاء المدن والممالك توسع الأندلسيين , ولذلك لم يظهر هذا اللون من الشعر في أدبهم , كما ظهر في الأدب الأندلسي فنا قائما بذاته .**

**لقد قدّر لهذا الشاعر ( أبي البقاء الرندي ) ان يشهد مأساة انحسار عزّ العرب عن معظم تراث الأندلس و احتضار أمجادهم الغائبة وإن عدّت المراثي في المدن الزائلة والممالك الآفلة فمرثية أبي البقاء تعد أشهرها وهي تقع في ثلاثة وأربعين بيتا:**

**لكلَ شيء اذا ما تمَ نقصان**

**فلا يضر بطيب العيش انسان**

**وهن الجزيرة أمر لا عزاء له**

**هوى له أحد وأنهد ثهـلان**

**فاسأل بلنسية ما شأن مرسية**

**وابن شاطبة بل اين ابن حيان**

**وأين قرطبة دار العلوم فكم**

**من عالم قد سما فيها له شــان**

**قواعد كن اركان البلاد فما**

**عسى البقاء اذا لم تبـق أركــان**

**حيث المساجد صارت كنائس ما**

**فيهـــن إلا نواقـيس وصلبان**

**ياراكبين عتاق الخيل ضامرة**

**كأنها في مجـال السيف عيقـــان**

**أعندكم نبأ عن اصل اندلس**

**فقد سـرى الحديث القـوم ركبـان**

**كم يستغيث بنو المستضعفين وهم**

**اسرى وقتلى فما يهتــز انســـان**

**بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم**

**واليوم هم في بلاد الكفر عبـــدان**

**فلو تراهم حيارى لا دليل لهم**

**عليــهم من ثيــاب الذل الـوان**

**لمثل هذا يذوب القلب من عمد**

**لو كان في القلـب اســــلام وإيمان**

**وبوسعنا أن نجمل مزايا مرثية ابي البقاء الرندي في أن مطلعها وما تلاه من اوائل الابيات عبارة عن مجموعه من الحكم وهذه الكم لا تكاد تخرج في حملتها عن فكره الاعتبار بمن مضى من الدول والملوك في سالف العهود .**

**والشاعر استطاع ان يلون عبارته مما جعلها طريقه ومتمايزة باستعانته بتلك الحوادث التاريخيه التي استحضرها من أعماق التاريخ بدت الابيات بصوره عامه مكرورة المضمون**

**ومن الطبيعي أن يبادر الشاعر بعد ذلك الى وصف ما دهن الاندلس من شر وبلاء وأن يعمد على مألوف رثاء الشعراء للمدائن والممالك إلى ذكر البلدان المنكوبة لغزو الفرنجة وقد عمد أبو البقاء – كأمثاله من الشعراء – إلى إبراز التضاد بينما كانت عليه البلاد وبين ما ألت اليه .**

**وفي اواخر القصيدة يعمد الشاعر إلى الاستنجاد والاستصراخ في إطار من مشاعر الأسى والمرارة مسربلة بغلالة خفيفة من السخرية فهو يستصرخ اولئك الناعمين بالطمأنينة والراتعين بالدعة وراء البحر ولكن هيهات فالجميع قد اصموا اذانهم عن اغاثه أبناء عمومتهم دون ان تتحرك فيهم الحمية والنخوة وتبعا لشدة معاناة أبي البقاء وطأة في ظل القهر والذل لم يعد بوسعه الانفلات من واقعه المتأزم لذلك نراه قد ساق أبياته بصوره مؤثره ثم لا يلبث أن يعود ثانيه الى وصف مشاهد اخرى مؤثرة لذلك رأينا أن العاطفة كانت صادقة ولعل مرد هذا إلى أن الشاعر قد شاهد تلك الأحوال وعاشها وهذا دليل على أن الصور التي ساقها وعبرت عن هذا الاثر صور من واقع المأساة فانبعثت على هذا النحو الشجي في شعره .**

**الخصائص العامة لشعر رثاء الممالك :**

**1-لقد بدا هذا الشعر مغايرا بعض الشيء لغرض الرثاء المعهود في اشعار العرب فهو نمط طريف يقل فيه الندب والنواح وتذرف الدموع على حين ينطوي على أسى ومرارة وحزن عميق ومن هنا قلت في رثاء المدن الاندلسية حدة البكاء وحل محلها الجنوح الى التبصر في شؤون الدنيا وسنة الكون بعبارة مشفوعة بالتأسي .**

**2- ومن جهة اخرى يتبين لنا ان هناك اصرة او علاقة بين رثاء الممالك لدجى الاندلسيين وبين شعر الوقوف على الاطلال في قديم قصائد العرب فالشاعر في الحالتين يصف الطلول والخرائب ويحرص على ان يقارن بين سالف العهد المشرق وما حفل به من ايام السعد وبين تجهم الحاضر وإدبار الدنيا وتقلب الدهر مستدعيا في كثير من الاحيان احلى ذكريات الماضي .**

**3- ان الشاعر في هذا النوع من الرثاء لا يقتصر على التعبير عن مشاعر الذات بل يتعدى ذلك الى رصد عواطف الجماعه والتعبير عن ظاهرة الحزن الشامل من خلال النكبات العامه التي كانت تجتاح عامة الناس .**

**4-إن المبنى الاسلوبي في هذا الشعر قد يبلغ في بعض الاحيان ذروة الاداء الفني وهو في اغلب نماذجه شعر جيد يتسم بتدفق العبارة وقرب المأخذ وان كان حظ معانيه من الابتكار ضئيلا فمضامينه في أغلب الأحوال معاداة لكنها في مقابل ذلك بما يصبه الشاعر عليها من أحاسيسه تبدو مفعمة بأصدق العواطف .**

**5-وقد تميزت الناحية الفنية في مراثيهم لمدنهم بغلبة عنصر العاطفة عليها , كما تميزت بالاعتماد أكثر على التشبيه والاستعارة في إبراز المعانى وتجسيمها , وبث الحركة والحياة فيها , ثم باللجوء إلى أسلوب الاستفهام البياني , وخاصة ما يخرج منه عن المعنى الحقيقي إلى التعجب والإنكار والتمني . ولاغرابة في ذلك فكم من المعاني التي فجَّرتها نكبة الأندلس في نفوسهم , كان يدعو إلى العَجب أو الإنكار أو التمني .**

**6- يمكن أن نلاحظ ان معظم الشعر الذي قد قيل في رثاء الممالك إنما صدر بحكم المرحلة أي كان مجيئه في عهود متأخرة أي في عهود الضعف والانحلال السياسي والركود الادبي اذ لم لم يكن ثمة داع لمعالجة مثل هذا اللون في عهدتي اميه ولا في عهد حكم ملوك الطوائف وانما قد جاء في عهودالمرابطين فالموحدين وما تلاهما بعد ذلك.**

**الشعر التعليمي**

**هو لون من الشعر أبعد ما يكون عن الشعر بمعناه الخاص , أي الشعر الفني الذي يغلب عليه عنصرا الخيال والعاطفة , ويهدف إلى الإمتاع والتأثير في النفوس . وهو لا يلتقي مع الشعر الفني إلا في صفة النظم فقط .**

**فالشعر التعليمي هو الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية , التي جاءت في حكم الكتب , وكذلك الكتب التي نظموها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد .**

**وقد عرف هذا اللون من الشعر في الأدب المشرقي , وشاركهم شعراء الأندلس فيه , وتوسعوا أكثر من المشارقة في الأراجيز والقصائد التاريخية .**

**وقد ابتدع متأخروهم لونا جديدا من الشعر التعليمي يتمثل في نظم متون في العلوم المختلفة , تيسيرا للدارسين على استيعابها وتذكرها عند الاقتضاء لسهولة حفظ الشعر . ومن أمثلة ذلك في علم النحو ألفية ابن معطي , وألفية ابن مالك , ومنها ألفية لسان الدين بن الخطيب في الفقه , وأرجوزته المسماه " المعلومة " في الطب , وأرجوزته في السياسة " المدنية " , وأرجوزته المسماه " المعتمدة " في الأغذية .**

**لقد كان الأندلسيون روادا في هذا اللون الشعر , ثم توسع العلماء فيه من مغاربة ومشارقة , حتى لنكاد نجد في كل علم وفن أكثر من أرجوزة أو قصيدة تجمع مسائله .**

**وكان إقبال العلماء على هذا الاتجاه وتفننهم فيه أن نجد الآن بين أيدينا منظومات شتى في علوم : التوحيد , وأطول الفقه , ومصطلح الحديث , والفرائض , والمنطق , والنحو والصرف , والعروض والقوافي , وعلوم البلاغة , والتجويد , والرسم ( الإملاء ) ...**

**أما أراجيز الأندلسيين وقصائدهم التاريخية , فأول من التفت منهم إلى هذا الاتجاه يحيي بن حَكَم الغَزَال , فللغزال أرجوزة تاريخية طويلة , نظمها في فتح الأندلس , وذكر فيها السبب في غزوها , وفَصّل الوقائع بين المسلمين وأهلها , وكان للأندلسيين بها شغف إلى آخر عصورهم .**